« اي عرب ؟ انهم لا يكاد يكون لهم اثر »(٦). وباللهجة ذاتها اجابت جولدا مئير مراسل التايمز اللندنية في العام ١٩٦٩ بقولها « أي فلسطينيين ؟ انهم لم يوجدوا البتة »(٧).
ويلاحظ ستون في العام ١٩٦٧ أن الارهاب اليهودي « شجع العرب على مغادرة مناطق كان اليهود يرغبون في الاستيلاء عليها لاسباب استراتيجية أو ديموغرافية . وقد حاولوا أن يجعلوا من اسرائيل بلدا محررا من العرب وخاليا منهم بقدر الامكان »(٨). وفي العام ١٨٩٥ كان هرتزل يبحث في مهام يعطيها للاهلين ، أي عرب فلسطين ، مثل القضاء على الحيوانات المتوحشة وتجفيف المستنقعات قبل ان يدفعهم خارج فلسطين بسرية واحتراس(٩). وفي العام ١٩٧٠ كانت المناقشة تجري في تل أبيب حول السرعة التي يجب أن تهود بها القدس وتجعل خلوا من العرب .
لا عجب ، والحالة هذه ، أن يكون توكيد الميثاق الوطني الفلسطيني ، الذي أصدر في العام ١٩٦٤ وعدل في العام ١٩٦٨ ، منصبا على كلمة عربي . فهذا الميثاق صرخة معذبة من أجل البقاء القومي في وجه المذبحة والاضطهاد العرقي ، واعادة تأكيد على الحقوق الاولية الاساسية ، حقوق شعب مضطهد في مقاومة مضطهديه . لكن الميثاق الوطني لم يقدم صورة واضحة لفلسطين المستقبل لا سيما في معالجته لحقوق المواطنة بالنسبة للمستوطنين اليهود في المادة السادسة منه(١٠). لم تكن الرؤيا الفلسطينية الثورية لتنبثق الا من المقاومة المسلحة . اذ لا يمكن أن يشكل الانتقام وحده دافعا لحرب الشعب ولا يمكنه وحده أن يمدها بأسباب الحياة ، فالعنف العقلي واللفظي يمكن أن يبنى حول نفي الوضع الراهن والحنين لنقيضه . لكن الكفاح الشعبي المسلح الذي يحتاج الى تعبئة الجهود القومية لمدة طويلة يجب أن يبنى على رؤيا للغد لا على كابوس الامس الثقيل . ان توهج الامل مرة أخرى وانبعاث المقاومة الفلسطينية والثقة بالنفس بعد الكرامة هي التي ولدت الرؤيا الجديدة : فكرة الدولة الديمقراطية اللاطائفية .

## الدولة الديمقراطية التقدمية واساسها المنطقي

لقد شهد العامان المنصرمان نقاشات كثيرة حول الرؤيا الفلسطينية لفلسطين الغد — وهي لا تزال رؤيا اكثر منها برنامجا مفصلا — وسنعرض لبعض المناظرات بعد قليل. ولكن يتعين علينا أن نؤكد منذ البداية أن المكون الاساسي للفكرة كلها هو تغير جذري في نظرة الفلسطينيين لليهود واعادة تحديد لعدو او اعداء الفلسطينيين وحركتهم الثورية . أصدرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في العام ١٩٧٠ نشرة بعنوان « حول فلسطين الديمقراطية »(١١)، وفي هذه النشرة تمييز دقيق بين مفاهيم الحل الديمقراطي « للمعضلة الاسرائيلية » و«للمشكلة الفلسطينية» و«للمسألة اليهودية» . فالنشرة تستثني — وعن حق — المفهومين الاولين،اي أنه ليس مطلوبا من حركة تحرر وطني ان تجد حلا ديمقراطيا لعدوان عرقي ولا هي تستطيع المساومة على تحرير الوطن المغتصب . فالحل الديمقراطي يستهدف مشكلة الناس الذين **استخدموا** لصنع العدوان ، يستهدف أدوات المعتدي ، أولئك الذين استخدمتهم الشوفينية أو العرقية أو المصلحة الطبقية ليضطهدوا شعبا آخر ، ولكنهم في الوقت ذاته ضحايا الاضطهاد والاستغلال أو هم كانوا كذلك . واليهود مثال واضح على ذلك ، فقد كانوا في التاريخ الحديث الضحية التقليدية لاكثر الهجمات القائمة على الشوفينية والعرقية والمصالح الطبقية اجراما .
قدمت للمسألة اليهودية العالمية ثلاثة حلول : ١ ) الحل الغربي الليبرالي : الذي يشير على اليهود بالانصهار والذوبان في المجتمعات الغربية ، لحل مشكلتهم . ٢ ) الحل الاشتراكي : الذي يؤكد على ان انهاء الاستغلال الطبقي عبر الثورة البروليتارية يجعل المشكلة باطلة ولاغية . يقول ابراهام ليون مثلا : « وسوف تؤدي الاشتراكية بصورة حتمية الى اقامة ديمقراطية واسعة في الاطار القومي وسوف تعطي اليهود امكانية حياة قومية في البلاد التي يقطنونها .. ولا يمكن حل المسألة اليهودية بأقل قدر من الآلام الا